كلية اللغة العربية

شهادة المشاركة

سلمت هذه الشهادة للأستاذة: فاطمة حرار

تقديرا لمشاركتها بمداخلة بعنوان:

فن الترجمة الذاتية الخلدونية بين توكيد الذات ومواجهة الآخر

في ندوة: **"جمالية النص الأدبي في الغرب الإسلامي"**

من تنظيم كلية اللغة العربية بمراكش بتنسيق مع وحدة التكوين والبحث: جماليات النص الأدبي في الغرب الإسلامي وأنماط التلقي ومجموعة البحث في اللغة والأدب يومي **14** و**15** أبريل **2005**م، برحاب كلية اللغة العربية بمراكش.

توقيع السيد العميد:

نائب العميد

الدكتور مولاي المامون المريني

جامعة القاضي عياض
مراكش
كلية اللغة العربية

جامعة القرويين
كليـــة اللغـــة العربيـــة
مراكـــش

وحدة التكوين والبحث: جماليات النص الادبي
في الغرب الاسلامي وانماط التلقي
ومجموعة البحث في اللغة والادب

ندوة علمية
جماليات النص الادبي في الغرب الاسلامي

البرنامج الأكاديمي

الخميس 14 ابريل 2005

8.30 **الجلسة الافتتاحية**

- كلمة السيـــد العميـــد : الدكتور حسن جلاب
- كلمة اللجنة المنظمة : الباحث عبد الغني فارسي

9.00 **حفل شاي**

9.15 **الجلسة الاولى** **برئاسة الدكتور مولاي عيسى الغسري**

مقررا الجلسة: عبدالصادق اشحيمة/سعيد اخي

* البديع في مقدمة "طراز الحلة وشفاء الغلة" لابي جعفر الغرناطي
  د. عمو عسو: كلية اللغة العربية – مراكش
* مفهوم الاستعارة عند ابن البناء المراكشي د. عبد العزيز لحويدق كلية الآداب – مراكش
* البنية الموسيقية في الشعر المغربي وأسئلة الجمالية
  دة. فتيحة سلايعي: كلية اللغة العربية – مراكش
* جمالية التصدير لدى ابن دراج القسطلي الباحث: عبد الغني فارسي كلية اللغة العربية – مراكش
* البحث الجمالي في التلقي البلاغي للشاهد الادبي د.عبد الله الرشدي: ظهر المهراز – فاس

11.30 منـــــاقشة

12.00 نهاية الجلسة

15.00 **الجلسة الثانية** **برئاسة الدكتور محمد الطالبي**

مقررواالجلسة: محمد ابحير/محمد تنفو/عبداللطيف السخيري

* جمالية المعارضة في نص لابن دراج القسطلي د محمد زوهير: المركز التربوي الجهوي – مراكش
* جمالية التشخيص عند ابن بياع السبتي د. الحسين ايت مبارك: كلية اللغة العربية– مراكش

* تفاعل الاخلاق والجمال في الشعر المغربي: قراءة في نماذج منظرة

الباحث: عبدالفتاح شهيد كلية الاداب ظهر المهراز- فاس

* مقدمة ديوان ابن خفاجة: بحث في القصيدة المضمرة

الباحث: سعيد العوادي كلية اللغة العربية – مراكش

X * فن الترجمة الذاتية الخلدونية بين توكيد الذات ومواجهة الاخر

الباحثة: فاطمة احرار كلية الاداب – مراكش

17.15 مناقشة

18.00 نهاية الجلسة

الجمعة 15-04-2005

9.00 الجلسة الثالثة برئاسة الدكتور عمو عمو

مقررو الجلسة: رشيد موش/لعميري توفيق/الحجري المصطفى

* قبسات جمالية من اشعار الفقهاء د. محمد اليوسفي: كلية اللغة العربية – مراكش

* جمالية القصيدة الصوفية المغربية د. عبد الرحيم مسكور: محافظ خزانة كلية الاداب – مراكش

* اليوسي الشاعر الناقد، قراءة في "نيل الاماني" الباحث: خالد يعقوبي كلية اللغة العربية – مراكش

* جمالية القافية في شعر ابن الابار، "تشاكل صوت الروي وغرض القصيدة"

الباحث: عبد الجليل شوقي كلية اللغة العربية – مراكش

10.30 مناقشة

11.00 نهاية الجلسة

15.00 الجلسة الرابعة برئاسة الدكتور عباس ارحيلة

مقررا الجلسة: حميد تعدويت/عبد العالي قدا

* جمالية الترجمة عند الفتح بن خاقان

من خلال "القلائد" د.احمد قادم: كلية اللغة العربية- مراكش

* امتدادات مفهوم التخييل عند البلاغيين المغاربة د. يوسف الادريسي: المركز الجامعي- آسفي

* جمالية الشعر في العمران د. احمد حديدة: وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية تحناوت

* قراءة في مقدمة "عنوان النفاسة" لابن زاكور الفاسي الباحث: محمد جمالي كلية اللغة العربية – مراكش

* ادبيات الترجمة في الغرب الاسلامي: قراءة في مقدمة الذخيرة لابن بسام الشنتيري

الباحثة: مليكة ناعيم كلية اللغة العربية- مراكش

17.15 المناقشة

18.00 نهاية الجلسة

بسم الله الرحمن الرحيم

فن الترجمة الذاتية "الخلدونية"

بين توكيد الذات ومواجهة الآخر

في ندوة "جماليات النص الأدبي في الغرب الإسلامي"، في 14-15 أبريل 2005 بكلية اللغة العربية، جامعة القرويين بمراكش.

في البدء يقال:«يجب أن يعشق المرء فكرته حتى يشعر بالحاجة إلى إخراجها»[1] كما اقتبسها الأستاذ عبد القادر السميحي وجعلها تلخص قصة إخراج كتاب "التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا"، وهو كتاب السيرة الذاتية كما كتبها عبد الرحمن بن خلدون (ت 808هـ) عن نفسه.

وصاحب الفضل في ظهور هذا الأثر هو العلامة المحقق محمد بن تاويت الطنجي (ت 1974م) الذي حققه علم 1951 بعد أن طبع القسم الكبير من الكتاب مرتين: الأولى بآخر كتاب "العبر" في سنة 1284هـ بمطبعة بولاق، والثانية على حاشية "المقدمة" بالمطبعة الخيرية بمصر سنة 1322هـ[2].

وتجدر الإشارة قبل عرض عنوان المداخلة "فن الترجمة الذاتية الخلدونية بين توكيد الذات ومواجهة الآخر" إلى أن وسائل التعبير عن الذات تختلق باختلاف موقف الإنسان من مشاغل العالم الخارجي ومن قيمه الإنسانية، وباختلاف موقفه

---

[1] -ابن خلدون والترجمة الذاتية، عبد القادر السميحي: في الكتاب التذكاري عن فقيد العلم والتراث محمد بن تاويت الطنجي: 241.

[2] -التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، عبد الرحمن بن خلدون، عارضه بأصوله وعلق حواشيه محمد بن تاويت الطنجي (القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1951م): هـ (إحالة 2).

من الآخر وشعوره بالمحيط الاجتماعي وبحقائق الوجود، وتتطلب خوض غمار التجربة الشخصية وتأصيلها ، بتعبير دقيق وتشخيص فني للتجارب المعيشة ووصف للطبائع والأحاسيس الوجدانية. لذلك اعتبر المحقق، المغربي ابن تاويت الطنجي لكتاب "التعريف بابن خلدون" المفتاح الأول لمعرفة شخصية ابن خلدون، واعتبر معرفته عن طريق حديثه عن نفسه من أهم ألوان هذه المعرفة وأوكدها، فقرأ هذا الكتاب طلبا لمعرفة ابن خلدون كما أراد هو أن يتصوره الناس[3]. ليواجه هذه الصورة بها كتبه عنه معاصروه ومن تبعهم.

وقد أثارني تعليق المحقق حين يقول:«رأي ابن خلدون في نفسه، ورأي معاصريه فيه بمصر بوجه خاص، لا يكادان يلتقيان، والقول في بيان أقربهما إلى الحق أوسع من أن يعالج في مثل هذا المقام»[4] وتلك الصورة التي رسمها معاصروه، عرف ابن خلدون أكثر معالمها فنكرها في ألم وترفع. فكيف رأى ابن خلدون نفسه أو كيف أراد أن يراه الناس؟ وكيف تأنق في صنع هذه الصورة وبنى ظلالها وألوانها؟ وكيف واجه صورة معاصريه وأنكرها؟ وما هي وسائله في التعبير عن الذات وعن الآخر؟

وقبل الإجابة عن ذلك سيتم التعريف بعنوان الكتاب وبالمراحل التي مر منها نتيجة الاختلاف والتغيير الذي كان يطرأ على نسخه.

فقد عرفت صيغة العنوان تطورات قبل أن يستقر على صورته تلك، فالكتاب منذ عرف، جزء تابع لتاريخ ابن خلدون، لا يفصله عنه إلا عنوانه بصيغته الأولى: "التعريف بابن خلدون مؤلف هذا الكتاب" وأداة الإشارة "هذا" إعلان عن تبعيته لبقية كتاب "التاريخ لابن خلدون، وقد ظل العنوان بصورته تلك، إلى أن أضاف إليه مؤلفه أخبارا جديدة، ضاعفت من حجمه ودعت إلى تعديل في صوغه، لتتضح معه الدلالة على مباحث الكتاب، فأزال ابن خلدون أداة الإشارة "هذا" وأضاف إلى بقية العنوان عبارة، "ورحلته غربا وشرقا"[5]. وقد أدت تلك التطورات

---

[3] -التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، عبد الرحمن بن خلدون: هـ.

[4] -نفسه: هـ(إحالة 1).

[5] -نفسه: يز

إلى توافر نسخ تحمل عنوان "التعريف" وأخرى تحمل عنوان "الرحلة"، وتسبب في حدوث خلط لدى بعض الباحثين أمثال كارل بروكلمان (Karl Brockelman) في كتابه "تاريخ الأدب العربي" حين اعتبر الترجمة الذاتية الواقعة في آخر الجزء السابع من كتاب "العبر" و"الرحلة" المحفوظة في مكتبة أسعد أفندي و"التعريف بابن خلدون ورحلته" مدلولات لكتب متعددة[6].

سيَّر ابن خلدون سيرته بحبكة فنية، تشمل جل خيوط ترجمته، بدءا من النشأة والنسب إلى آخر مرحلة منها (إلى حدود سنة 807هـ)، فأحاط بأغراض حياته واستنفذها، ونوع مشاربها ومظاهرها فكان التعدد والتنوع وقطع الأبعاد المكانية والزمانية مقياسا لتوكيد الذات، فقد عاش في السوق والكوخ والقصر والمدينة، وتولى القضاء والكتابة عن السلاطين وأعباء السياسة والكتابة في السر والإنشاء، والعلامة[7]، والحجابة وولاية التدريس وكتابة الرسائل وأعمال السفارة بين الدول ... كما عايش حرب السنين والثورات والنكبات، وأبدع في كتابة الرسائل والخطب والأشعار ... فأغنى هذا التنوع بالدلائل التاريخية والجغرافية والأدبية ... وكان استنفاذه لأغراض حياته استنفاذا كذلك لحياة الآخر وإحاطة بها (من سلاطين وولات وقضاء وأمراء وشيوخ علم ...) لقد أكدت القراءات السابقة لسيرة ابن خلدون على شخصيته المستسلمة وذاته المقهورة نتيجة ما واجهته هذه الذات من معاناة وجور عبر عنها بمرارة في قوله مثلا: فكثر الشغب علي من كل جانب، وأظلم الجو بيني وبين أهل الدولة، ووافق ذلك مصابي بالأهل والولد، وصلوا من المغرب في السفين، فأصابها قاصف من الريح فغرقت، وذهب الموجود والسكن والمولود؛ فعظم المصاب والجزع، ورجح الزهد، واعتزمت على الخروج عن المنصب، فلم يوافقني عليه النصيح ...»[8]، وعرفت علاقته بالآخر أخذا وردا، يقول:«كان اتصالي بالسلطان أبي عنان ... وأدناني واستعملني في كتابته، حتى

---

6 -التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، عبد الرحمن بن خلدون: بط.

7 -العلامة: هي وضع الحمد لله والشكر لله بالقلم الغليظ، مما بين البسملة وما بعدها، من مخاطبة أو مرسوم.

8 التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، ابن خلدون: 259-260.

تكدر جوي عنده، بعد أن كان لا يعبر عن صفائه ... فقبض علي، وامتحنني وحبسني ...»[9].

وبالرغم من ذاته المستسلمة ومن انعزاله عن الوظائف بين الحين والآخر وإبعاده عن مراكز السلطة، إلا أنه سعى في سيرته الذاتية إلى توكيد الذات المؤرخة والعالمة وانتصر لها خلال مواجهته لذاك الآخر الذي صده وسبب تعاسته، فخالف أسلوب الكتابة السائد في عصره، ودافع من شخصيته المؤرخة والعالمة بأسلوب فني مؤثر.

امتازت كتابة ابن خلدون بأسلوب البساطة الفنية والكلام المرسل، والابتعاد عن المذهب الشكلي وصناعة الأسجاع والجناس، إلى أن قيل عنه:«خلق آراء أبدية الجدة سبق بها عباقرة أوربا»[10]. هذا الأسلوب الذي كان له أثره على معاصريه على حد قوله:«واستعملني [المقصود السلطان أبو سالم] في كتابة سره والترسيل عنه، والإنشاء لمخاطباته وكان أكثر ما يصدر مني الكلام المرسل، أن يشاركني أحد ممن ينتحل الكتابة في الأسجاع، لضعف انتحالها، وخفاء العالي منها على أكثر الناس، بخلاف المرسل، فانفردت به يومئذ، وكان مستغربا عندهم بين أهل الصناعة»[11].

وفي اختياره ذاك شعور باجتماعية الحياة وتفرد وتميز عن الآخر ومواجهة له ولمذهبه الشكلي، وميله إلى الكتابة المرسلة، إلا أنه يظهر مهارته في انتحال الكتابة في الأسجاع البعيدة عن التعقيد والصنعة، يستلذ القارئ قراءة جملها المتتالية لحلاوتها وإيقاعها في النفس من ذلك قوله:«نقول: يا محل الولد، "لا أقسم بهذا البلد، وأنت حل بهذا البلد" لقد حل بينك عرى الجلد، وخلد الشوق بعدك بابن خلدون في الصميم من الخلد ...»[12]. وفي إلماعاته تلك دلالات شتى، القصد منها التقرب من أكثر الناس ومخالفة أهل المذهب الشكلي، ثم التفرد والتميز في الأسلوب،

---

9 -التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، عبد الرحمن بن خلدون: 66-67.

10 -ابن خلدون والترجمة الذاتية، عبد القادر السميحي: 240.

11 -التعريف بابن خلدون ورحلته، ابن خلدون: 70.

12 نفسه: 108-109.

يقول:«فانفردت به يومئذ»[13]، وفي ذلك محاورة للأعلام على حد قوله:«وأي نسب بيني اليوم وبين زخرف الكلام، وإجالة جياد الأقلام، في محاورة الأعلام، بعد أن حال الجريض، دون القريض وشغل المريض عن التعريض»[14].

وظل يصرح بتفادي السجع، خشية القصور عن مساجلة المخاطبين لأنه – حسب رأيه– لم يكن شَأْوُهُ يُلْحَق»[15]، ومن مخاطباته:«سيدي مَجْداً وعُلُوا، وواجدي ذُخْرا مَرْجُوّاً، ومَحَلَّ والدي بِرّاً وحُنُوا –مازال الشوق– مُذْ نَأَت بي وبك الدار»[16].

لقد جعل ابن خلدون من نفسه في سيرته بطل الحوادث، يعرض مغامراته على مسرح الحياة، فأثار وقائع مثيرة، ونسج من خلالها خيوط ترجمته، مع الربط الفني بين التاريخ و"الذات"، فعرض الذات في إطار سلطة التاريخ وأحداثه، وهي سلطة علمية كاتبة ومحققة، أشبع من خلالها حاجته، ولَفَّ ترجمته بطابعي العلمية والفنية لإقناع الآخر. وفي حالة التعبير عن الذات في إطار هذه السلطة يتدخل الشعور بالجماعة، وتصبح الذات مشاركة في بناء التاريخ، ويتحول ضمير المتكلم المفرد مع الأحداث التاريخية إلى ضمير المتكلمين، ويؤكد الشعور بمشاركة الذات داخل الجماعة وفي معترك المعارك وساحة الأحداث، من ذلك قوله:«لما خرجنا من تونس، نزلنا بلاد هوارة، وزحفت العساكر بعضها إلى بعض ... وانهزم صفنا»[17].

وتنوعت مظاهر الذات، وكانت أقواها في ضمير "الأنا" المعبر عن مكانة الذات وتوكيدها، من نحو قوله: «وأما أنا فكنت مقيما بفاس في ظل الدولة وعنايتها ..»[18]، وقوله:«وانهزم صفنا، ونجوت أنا إلى أبة»[19] وقوله:«وكنت أنا يومئذ

---

[13] –التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، عبد الرحمن بن خلدون: 70.

[14] –نفسه: 114.

[15] –نفسه: 123.

[16] –نفسه: 123.

[17] –نفسه: 56.

[18] –نفسه: 224.

[19] –أبَة: بضم الهمزة وتشديد الباء لمفتوحة: بلد بينهما وبين القيروان ثلاثة أيام (نفسه:56).

مستوحشا»[20] وقوله:«فأين لي أنا بعده، فانطلقت ...[21]. والأنا هنا تدل على التفرد والتميز.

ومن مظاهر توكيد الذات في إطار سلطة التاريخ، اعتماد حقل معجمي وحقل دلالي يجعل قوة الفعل في ماضيه وحاضره مرتبطا بالسلاطين والولاة مطلوبا عند حضرتهم ومشاركا في مهامهم في قوله: آنَسَني-قرَّبني-أدناني-دعاني-حملني-استعملني-استعان بي على أمره-استدعاني من خلوتي-شاورني-يشاورني-سألني فأشرت عليه-امتحنني- يقول:«ولما أجاز السلطان أبو القاسم من الأندلس لطلب ملكه ... فبث دعوته يسرا، واستعان بي على أمره بما كان بيني وبين أشياخ بني مرين من المحبة والائتلاف»[22].

وإذا كانت مادة الترجمة (Bio graphy) تختلف عن التاريخ بالنسبة للحوادث العامة، فان ابن خلدون سير سيرته من حيث صلتها بتلك الأحداث التاريخية، لعدم الفصل بين ذات الشخص و ذات المبدع لهذا التاريخ، فتحدث عن نفسه في غمرة أحداث الحروب والثورات، وهذه سمة من سمات التعبير عن الذات الخلدونية التي صورها تصويرا فنيا، فكان موقظ أفكار ومبدعها أطر بها سيرته وكانت سر وجوده وتخليده، فقد اعتبر نفسه خلاصة عصره لاحتكاكه بأحداثه وتأثره بها واشتراكه في صنعها، وعد نفسه صورة موجزة عن ذاك التاريخ، في حدود عمره أو ترجمته التي امتدت من أسلافه إلى سنة 807م (أي سنة قبل وفاته وفي ذلك تأكيد الذات المؤرخة، فهو مدرك لفائدة التاريخ في معرفة الأمور على وجهها، ولحقيقته الباطنية التي أدركها حين قال:«في ظاهره لا يزيد على أخبار الأيام والدول والسوابق من القرون الأولى ... وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق ....»[23] ففي النظر مناظرة ومواجهة، وفي التحقيق إثبات للحقيقة والحق.

---

[20] -التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، عبد الرحمن بن خلدون: 225.

[21] -نفسه: 226.

[22] -نفسه: 68. ينظر: 66-67-68-135-225-340 ...

[23] -مقدمة ابن خلدون: 4-9.

أما توكيد الذات العالمة، فتجلت خلال حديثه عن مزاولة التدريس ونشر العلم، وخلال حديثه عن النشأة والمشيخة، فقد تولى الترجمة لشيوخه، بطريقة فنية تجعل التعريف بهم جزءا هاما من التعريف بشخصه، ويظهر ذلك في تناوب الضمائر وتناوب الأفعال العائدة على كليهما (التلميذ ابن خلدون والشيخ) في تناغم وانسجام: من ذلك قوله:«ومنهم: إمام العربية والأدب بتونس، أبو عبد الله محمد بن بحر، لازمت مجلسه، وأخذت عليه، وكان بحرا زاخرا في علوم اللسان، وأشار علي بحفظ الشعر، فحفظت كتاب الأشعار الستة ...»[24].

ونلاحظ في قوله تناوب الضميرين: ضمير المتكلم المفرد (الذات) وضمير الغائب المرتبط بأفعال "القوة": لازمت، كان بحرا فحفظت ... ثم بعد ذلك مباشرة المزج بين الضميرين: وأشار علي، وتفقهت عليه، وسمعت عليه، أنتاب مجلس شيخنا الإمام ... وأجازني[25]، فجاء الضمير المتصل بالفعل يمثل تارة الماضي "المشيخة" وتارة التواصل، والضمير المتصل بالاسم أو الحرف يمثل تارة الذات والثبات، ويمثل تارة أخرى التعظيم والتحلي بمكانة الشيوخ ومواصلة الجهود.

ويبدو أن الحديث عن المشيخة نال حظا وافرا من الترجمة نظرا لما له من أثر بالغ في إبراز الذات العالمة وقوة تكوينها وتحصيلها وكانت حجته البينة للحكم على مكانته الثقافية داخل جيله فقد خصها بعنوان: "مشيخته" يزيد عن أربعين صفحة وكانت محط اهتمامه في محاور أخرى، نحو حديثه عن رحلاته ووظائفه وتوليه المناصب ...[26].

أما مواجهة الآخر، فتأتي في عرض حديثه عن مناسبات أعماله الإبداعية والنثرية، وعن أسباب نزولها، فيعلن عن قوة تحديه وقوة وسائله في الرد، في مقابل هزيمة الآخر. وقوة الرد تتجسد في قوة وسائله الفنية المتمثلة في:

---

[24] -التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، عبد الرحمن بن خلدون.

[25] -نفسه: 19.

[26] -نفسه: 60-62-65.

1-تميز مصادره وشواهده، فقد اعتمد شهادة العلماء، وكان الشاهد الشعري في المقام الأول، فقد عرض القصائد والرسائل والمخاطبات، التي خاطبه فيها أصحابه من رجال العلم والأدب، واعتبر شهادتهم في حقه وتنويههم لشخصه -وهم ذوو المكانة العالية- دليلا كافيا للرد على ذاك الآخر[27]؛ ولقيمتها في رد الاعتبار للذات، أثبتها جملة وتفصيلا، مع العلم أن الشاهد الواحد قد يصل إلى عشر صفحات[28].

2-مصدر المشاهدة باعتبارها مصدرا تضفي على الترجمة حيوية كبيرة، وهي عنده تمثل مادة وافرة يحال عليها بأفعال المشاهدة والمشاركة والحضور والوقوف على الحقائق ... وهذا المصدر جعل منه "شاهد عيان".

ولإضفاء صفة الجمالية والفنية على سيرته يسم تلك الذات المشاركة في مسرح الأحداث والنكبات والثورات بميسم الشاعرية المرهفة، حين جعل نفسه تأخذ بالشعر، وتنتال عليه منه بحور لإظهار شاعريته التي حكم عليها قبل أن يحكم عليها الآخر، وجعلها تتوسط بين الإجادة والقصور[29].

ونظم ابن خلدون للشعر كان ردا على أعدائه الذين تألبوا عليه أمثال محمد بن عرفة (ت 803) وأصحابه واتهموه بإهمال الشعر وانتحاله جملة وبالعدول عن امتداح السلطان أبي العباس بتونس استهانة به، في وقت كان منشغلا بتأليف هذا الكتاب، فما كان عليه بعد توقيع الكتاب إلا أن توجه باسم السلطان وأنشده مادحا إياه ومستعطفا بهدية الكتاب إليه[30]. وقد كان ابن خلدون شارحا لشعره ومعرفا بالأعلام الواردة في قصيدته ومعلقا على رد فعل الخصم، من ذلك قوله:«ثم كثرت سعاية البطانة بكل نوع من أنواع السعايات، وابن عرفة يزيد في إغرائهم متى اجتمعوا حوله»[31].

---

[27] -التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، عبد الرحمن بن خلدون: 226.

[28] -نفسه: 262-271.

[29] -نفسه: 70.

[30] -نفسه: 232-233.

[31] -نفسه: 244.

الاعتماد على تراكم الشواهد وتنوعها والتنصيص عليها وتوثيقها، فقد استشهد بالأحاديث النبوية والاقتباسات والتضمينات القرآنية لتجميل الأسلوب ولتوكيد قوة الذات من الناحية العقدية الدينية. ويبدو أن توكيد الذات العالمة الصادعة بالحق عنده لا يتحقق إلا من خلال مواجهة الآخر، وهي استراتيجية تطلبت منه الثنائيات المضادة، وتوليد معجمين متقابلين: ذكر الواحد ينبئ بدلالة الآخر، وعرضهما بدون رابط يوفي بالغرض ويوحي بأبعاد المؤلف ويدل على قدرة اختياره لألفاظه ووعيه بإيحاءاتها.

معجم الذات بضمير المتكلم	معجم الآخر بضمير الغائب
-القيام بالحق والإنصاف من المطالب -لا تأخذني في الحق لومة.	الإنصاف متعذر
آخذا بحق الضعيف في الحكمين	يحكمون بما يلقي الشيطان على ألسنتهم.
وفيت عهد الله في إقامة رسوم الحق وتحري المعدلة حتى ←	سخطني من لم ترضه أحكام الله ووقع من شغب (ص: 285).
جانحا إلى التثبت في سماع البينات	يموهون – يشعوذون.
فصدعت بالحق، وكبحت أعنة أهل الهوى والجهل	أعضل داؤهم، وفشت المفاسد بالتزوير والتدليس بين الناس منهم
تأهيلا لمكانتي وتنويها بذكري	زواياهم مهجورة وبئرهم معطلة
قطعت الحبل في أيديهم وأمضيت أحكام الله فيمن أجاروه (ص: 257)	لا يزعم الدين عن التمرض لأحكام الله بالجهل (ص: 257)
الإفصاح عن الحق	النيل مني وسوء الأحدوثة عني وقول الزور

معرض عن الجاهلين	قوة الشكيمة – التأليب علي والسعاية بي –خطة الباطل – الغيرة وسواد النكتة في القلب، أحقادهم –ملأهم حسدا وحقدا علي.
أنا أعلم الناس بمكانه منكم – تفقهت عليه – أنتاب المجلس	لا ينتمون إلى شيخ مشهور.

إن ابن خلدون يواجه بعض منافسيه –لو كما سماهم حساده– من كتاب دواوين وقضاة وعلماء وفقهاء وشيوخ فتيا ... ومن هؤلاء قضاء مصر[32]، الذين سلطوا أقلامهم على العقود المحكمة، فنقضوها بوجه فقهي أو كتابي «متي دعا إليه داعي جاه أو منعة»[33]، فجعل ابن خلدون من ذاته العالمة أداة لصد الضرر المتفشي في الأوقاف يقول:«فعاملت الله في حسم ذلك بما آسفهم علي وأحقدهم، ثم التفت إلى الفتيا بالمذهب»[34]، فصوب السهام حيث أصابوه، فنال منهم في علمهم وأخلاقهم ودينهم ولم يترك لهم شيئا لذكراهم، فكان أسلوب التقابل وسيلة أخرى لإثبات الذات ومواجهة الآخر، بجانب المقارعة بالحجة التي يدعيها هذا الآخر بحكم مكانته، فجابههم بسلاحهم، ونزع عنهم أهم صفة يجب نوافرها في العالم أو الفقيه أو القاضي.

وبحجته تلك يجعل ذاته العالمة دائما منتصرة، ويخرج من كل معركة فائزا متوجا خروجه بانتصار العكوف على العلم والتدريس، وهي مفازة تشكل رضى النفس عن الذات، تتمثل في قوله مثلا:«ويدسون إلى السلطان التظلم مني، فلا يصغي إليهم»[35]، وقوله:«وتبين أمرهم للسلطان»[36]، وتتمثل في قوله:«وفرغت

---

32 –التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، عبد الرحمن بن خلدون: 255.

33 –نفسه، 256.

34 –نفسه: 256.

35 –نفسه: 258.

36 –نفسه: 259.

لشأني من الاشتغال بالعلم تدريسا وتأليفا»[37]، وقوله: «وتفرغت لتحديد ما كان عندي من آثار العلم»[38] فكان يتداركه اللطف الرباني، وتشمله نعمة السلطان في النظر بعين الرحمة –أمام شكيمة الحساد– وتحلية سبيله من المهام التي لم يطق حملها، فيعكف على إعمال القلم في التدوين والتأليف وعلى العبادة. فهو دائما وأمام كل الصعاب يشغل نفسه بالتدريس على حد قوله الذي تكرر في كل الفصول قصد إثبات الذات العاملة العالمة على نشر العلم أينما حلت وارتحلت.

وبعد التعريف بالذات وبالآخر، ينتصر لتلك الذات باسم العلم، ويحدد مآل "الآخر" حين يقول عن ولايته القضاء بمصر للمرة الثانية:«مازلت، منذ العزل عن القضاء الأول سنة سبع وثمانين، مكبا على الاشتغال بالعلم، تأليفا وتدريسا، والسلطان يولي في الوظيفة من يراه أهلا متى دعاه إلى ذلك داع، من موت القائم بالوظيفة، أو عزله، وكان يراني الأولى بذلك لولا وجود الذين شغبوا من قبل في شأني، من أمراء دولته، وكبار حاشيته، حتى انقرضوا ... وقلدني وظيفة القضاء ... فجريت على السنن المعروف مني، من القيام بما يجب للوظيفة سر وعادة وكان رحمه الله يرضى بما يسمع عني في ذلك»[39].

لقد استثمر ابن خلدون إمكانات فنية غير عادية لتحقيق الذات العالمة في مقابل الذات العاملة التي واجهت الظلم والجور وعرفت الاستسلام والقهر، فعنصر الذاتية كان في جميعها هو كل شيء في الموضوع، وإذا كان لنص الترجمة الذاتية الخلدونية خصوصيات، فماذا عن الحدود الفاصلة بينها –باعتبارها فنا لتوكيد الذات– وبين المفاهيم المحيطة بفلكها من نحو: اليوميات والاعترافات والسيرة، والمذكرات ...

وكان الود لو سمح الوقت وتم اعتماد آلية المقارنة بتجارب أخرى ذاتية، نحو مقاربة هذه التجربة بتجارب أخرى مثل رحلة ابن بطوطة ورحلة ابن جبير أو ترجمة لسان الذين بن الخطيب ... ولعل المناقشة كفيلة بإثارة ذلك لاختبار

---

37 –التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، عبد الرحمن بن خلدون: 285.

38 –نفسه: 245.

39 –نفسه، 347.

مصداقية قول القائلين:«ابن خلدون أغنى ما يملكه العرب حتى اليوم»[40].

إنجاز الطالبة:
فاطمة حرار

[40] -ابن خلدون والترجمة الذاتية عبد القادر السميحي: 252. 11.